

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكَلَّا لَتَنصُنَّ عِلِّيَّكَ مِنَ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبِّئْتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَمَلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فصدية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَخِيهِ يَسَاقُ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝ قَالَ يَبْنَئُ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

بينهم في الإيمان (ولا يزالون مختلفين) يعني في الأديان والملل والمذاهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص وما بدل من كلا (وجاءك في هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديد لهم وإقامة حجة عليهم

سورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعني القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أي أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير في قبله للقصص أي من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه ذكر المضمر، أو القصص (يا أباي) والتاء للبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لي ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى السكوا كب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهو السجود وتأويل السكوا كب في المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته تخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هي عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

إِبْرَاهِيمَ وَاتَّخَذَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لَدَدَكَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتَهُ آيَاتُ لِلسَّائِلِينَ * إِذْ قَالُوا لِيُوسُفَ
وَإِخْوَهُ أَحِبُّ إِلَى آيَاتِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ
وَجْهٌ أَيْكُمُ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ
يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قَالُوا يَبْنَآبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ * أَرْسَلَهُ
مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ * قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ
عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ * فَلَمَّا تَذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي
غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا
يَبْنَآبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعَةٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ *

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف
أو أمروا فر يشا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (اوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو
أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أى جماعة
نقدر على النفع والضرر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن آبانا لفي ضلال مبين)
أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يخل لكم وجه أيككم) أى لا يشاركم غيره
في محبة لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قائل
منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيايت الجب) غوره وماغاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين
يسIRON في الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لا تأمناعلى
يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرقع)
من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه
بالإسكان ، فهو من الرقع وهو الإقامة في الحصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ،
ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين
وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة
بالخيل (واجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو
(وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير في إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب
والأول هو الصحيح ، (وهم لا يشعرون) في موضع الحال من لتنبئهم أى لا يشعرون حين تنبئهم فيكون
خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لا يشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبى صلى الله
عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينما يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقاتلنا (ولو كنا
صادقين) أى لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تهمنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

وَجَاءَ عَلَى قَيْصِهِ بَدْمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ
وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبْشَرِي هَذَا غُلَامٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ
وَشَرَّوهُ بَشْماً بَخْسٍ دَرَاهِمٍ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَأَمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي
مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَاسْكُنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

كنا صادقين في هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، و لا أول أظهر (وجاءوا على قيصه بدم كذب
أي ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، و روى أنهم لاطخوا قيصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه
في قيصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قيصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (- قلت) أى زينت (فصر
جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدأ تقديره شأنى
صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (وادهم) الوارد هو الذى
يستقى الماء لجماعة ، و نقل السهيلي أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد
فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال
يا بشرى) أى نادى البشرى كقولك يا حسرة ، وأضافها إلى نفسه ، و قرئ يا بشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى
كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل فى الحب
تعلق به يوسف حينئذ قال يا بشرى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول
ليوسف أى أخفوه من الرفقة ، أو قالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير
أيضا الذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأبهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (بضمن بخص)
أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخص هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أخذوه
أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلي اسمه قطفير (من
مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فتودى عليه فى السوق
حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قد تقدم (والله غالب على أمره)
فى عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره ، والثانى أنه يعود
على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشده) قيل الأشد البلوغ ، وقيل ثمان
عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والنبوة (وراودته التى هوى فى بيتها عن
نفسه) أى طالبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها
كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، و قرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح الناء
وضمها ، والمعنى فى ذلك كله واحد ، و حركة الناء للبناء ، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت

مَثَوَى إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۖ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ
وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْخُلَصِينَ ۖ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ
مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٍ ۖ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أوللذى
اشتراه ، لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغي لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن ،
ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهم بها) أكثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها
التأليف ، فمنهم مفرط ومفرط ، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذى أرادته
وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجلها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغي أن يقال به لضعف نقله
ولزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهم بالقتل أو يضربها ليدفعها وهو
بعيد يردده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهم بها ليدفعها ، وهذا
أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مراها وهم بها كذلك
لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على
قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاه من قلبه لما رأى
برهان ربه ، ولا يقدح هذا فى عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من
هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان
ربه لخاطها ، وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه ، وقد قيل إن هم بها ، هو الجواب ، وهذا ضعيف
لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون
فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهاه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل
رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه ، فقال أنا أولى أن أستحي من الله (كذلك لنصرف) الكاف فى
موضع نصب متعلقة بفعل ضمير ، التقدير ثبتناه مثل ذلك الثبوت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل
ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم
الله لطأته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه
إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن تردّه ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد
وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدَّتْ
قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ) أى قطعت من وراءه ، وذلك أنها قبضت قَيْصَهُ من خلفه لتردّه فتمزق القميص ، والقَدَّ القطع
بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدازوجها عند الباب (قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا
إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء
كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه
بدعواها وما جزاء يحتمل أن تكون مانافية أو استفهامية (قال هى راودتني عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

أَهْلَهَا إِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۝ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَمَاءً تَمَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أُخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلاً في المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أَرْضِمت الشهادة معنى القول (إن كان قَيْصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ) لأنها كانت تدافعه فتقد قَيْصُهُ مِنْ قَبْلِ (وإن كان قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ فَكَذَبَتْ) لأنها جذبت به إلى نفسها حين فر منها فقذت قَيْصُهُ مِنْ دُبْرٍ (فلما رأى قَيْصُهُ قَدْ مِنْ دُبْرٍ) فاعل رأى زوجها أو الشاهد (إنه من كيد كن) الضمير الأمر أو لقولها ما جزاء (يوسف أعرض عن هذا) أى اكتمه ولا تحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغايبا للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى أنهم خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فتاها) أى خادماها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) باغ شفاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسمعهن مكرهن لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (وأعدت لهن متكاً) أى أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكاً بسكون التاء وتنوين الكاف ، وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لحماً (وقالت أخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظم شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جداً (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لا يشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براءة وتنزيه : أى تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلاً ، وأما هنا فقال أبو على الفارسي إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام فى قوله الله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذف منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لا يحذف منها شيء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدري ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال الزمخشري إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزهه قال وإنما حذف منه

بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرُهُ لَيُصْجِنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ * قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ * فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيُصْجِنَنَّ حَتَّىٰ حِينٍ * وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * يَصْصَحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ما هذا بشرا) أخرجنه من البشر وجعلناه من الملائكة مبالغة في وصف الحسن (إن هذا إلاملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه) توبيخ لمن على اللوم (فاستعصم) أي طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أي أهمل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أي ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير في لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه في ذلك (رأوا الآيات) أي الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتيان) أي شابان ، وقيل هنا محذوف لا بد منه وهو فسجنوه ، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إني أعبس الرؤيا ، وكذلك سأله الفتيان عن مناهما ، وقيل إنهما استعملها ليجرباه ، وقيل رأيا بذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمي العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هي لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه في تأويل الرؤيا ، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتیکما طعام ترزقانه) الآية : تفتضي أنه وصف لها نفسه بكثره العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله ، وفيه وجهان : أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتیهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتیهما ، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء ، والآخر أنه قال لا يأتیکما طعام في المنام إلا أخبرتکما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا (ذلکما مما علمنی ربی) روى أنهما قالاه من أين لك هذا العلم وأنت لست بکاهن ولا منجم ، فقال: ذلکما مما علمنی ربی (إني تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليل لما قبله من قوله علمنی ربی أو يكون استئنافا (یا صاحبی السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه ، كأنه قال یا صاحبی فی السجن (أرباب متفرقون) الآية : دعاهما إلى توحيد الله ، وأقام عليهما الحجة رغبة في إيمانهما (ما تعبدا من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتن مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَصْحَبِي السَّجْنُ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ۚ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا إِذْ كُرِنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَإِنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَبِضْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضَرٍ وَأُخْرَى يَابَسَاتٍ يَأْكُلْنَ أَلْفُ ثَوْنٍ فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ۚ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ۚ وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ۚ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضَرٍ وَأُخْرَى يَابَسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْعُمُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابَّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمرًا) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناجٍ منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذ كرني عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن ، وقيل الضمير للذى نجى منهما وهو الساقى أى نسي ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده ، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أو ثلاث سنين بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربع مائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (يا أيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (الرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات ، واحده ضغث ، فإن قيل : لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجى منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لا بد منه وهو فأرسلوه فقال يا يوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصديق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فى من رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف فعجب كيف علمتهن وكيف وسعت فى بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا ،

ثُمَّ تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكِنَّ إِذْ رَاوَدْتَن يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخضبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجذبة فكذلك السنبلات الخضراء واليابسة (دأبا) يسكون الهمة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا دام عليه ، وهو مضارع في موضع الحال (فما حصدم فندروه في سنبله) هذا رأى أرشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبق فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقونها من السنين المخضبة إلى السنين المجذبة ، وهي أن يتركوه في سنبله خير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أي لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعني سبع سنين ذات شدة وجوع (يأكلن ما قدَّمتم لهن) أي تأكلون فيهن ما اخترتم من الطعام في سنبله ، وأسندوا كل إلى السنين مجازا (مما تحصنون) أي تخزنون وتخشون (ثم يأتي من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أي يمحطرون ، أو من الغوث : أي يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أي يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتوني به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فأرى عليه وعقله ، فقال ائتوني به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيالذمام زوجها وسترأ لها ، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن (قال ما خطبكِنَّ) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها (فان حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقوله : ما علمنا عليه من سوء (الآن حصحص الحق) أي تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والصمير في يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أي ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالصمير للعزيز أي لم أخنه في زوجته في غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسي) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف ،

النَّفْسَ لَأَمَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا يُونُسَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا جُرْأِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَجَاءَ إِخْوَةُ يُونُسَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم والقصد ، وقاله في عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأماراة بالسوء) النفس هنا للجسد والنفوس ثلاثة أنواع : أماراة بالسوء ، ولوامة وهي التي تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا ما رحم ربّي) استثناء من النفس إذ هي بمعنى النفوس أي النفس المرحومة وهي المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذي ، ويحتمل أن تكون ظرفية أي إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسي) أي أجعله خاصتي وخلاصتي قال أولاً ائتوني به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسي (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أي فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، والمكين من التمكن ، والأمين من الأمانة (قال اجعلني على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد قصره والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب من الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافراً ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك (إني حفيظ عليم) صفتان تعان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالأسرار ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان في ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولّاه في موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافترقت فتزوجها يوسف ودعا الله فردّ عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدرهم في السنة الأولى حتى لم يبق لهم شيء منها ، ثم بالحلي ، ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعاً ثم أعتقهم وردّ عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر في قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بذلك ولا أجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لا يتبدل من أجره في الدنيا ، فالأول في المشيئة ، والثاني واقع لا محالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابهم مجاعة في بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنكره بعد المهدة وتغير سنه أولاً لأنه كان مثلها ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم

بَجَهَنَّمَ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَيْكُمُ الْآتَرُونَ أُنَى أَوْفَ الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ * فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون * قَالُوا سَرَّادُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ . وَقَالَ لَفَتَيْنِ أَجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى آيِهِمْ قَالُوا يَبْنَابَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْسَكْتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَبْنَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلُ يَسِيرٍ . قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُتَوَّنَ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَبْنَىٰ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ . وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا لَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أحوالهم ، فحينئذ قال لهم اتنوني بأخ لكم من أيسكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، وأراد به هنا الطعام الذي باع منهم (خير المنزلين) أي المضيفين (وإننا لفاعلون) أي نفعل ذلك لا محالة (وقال افتياناه) جمع فتى وهو الخادم سواء كان حراً أو عبداً (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منها بها الطعام في أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أي لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي فهو خوف من انزعاج في المستقبل (نكتل) وزنه نفتل من الكيل (مانبغى) ما استفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمبغى أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون مانافية ونبغى من البغى : أي لا تتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير أهلنا) أي نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهما إذ كان يوسف لا يعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغية صاحبه حتى يأتى والبعر الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الاحمال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أي قليل عنده أو سهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى تؤتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتاني به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابنى لا تدخلوا من باب واحد) خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ما كان يغنى عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذِنَ مَوْذَنٌ آيَتَهَا الْغَيْرَ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۖ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ۖ قَالُوا تَفْقَدُ صُوعًا مَلِكٍ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حُمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۖ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۖ قَالُوا فَاجْزَأُوهُ ۖ إِن كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ۖ قَالُوا جَزَأُوهُ مِنْ وَجْدِي رَحْلَهُ فَهُوَ جَزَأُوهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ۖ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا

لا يدفع ما قضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هي شفقتهم عليهم ووصيته لهم (أوى إليه أخاه) أى ضمه (قال إني أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه ، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أى لا تحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى ما فعلوا يوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لا تبالى بما تراه من تحيل فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام ، وكان من فضة ، وقيل من ذهب ، وقصد بعمله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (آيتها الغير) أى آيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى : إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أى لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن رذ الصواع ، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلهم لما ظهر لهم من دياتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يعملون إلا كمة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزأوه إن كنتم كاذبين) أى قال فتيسان يوسف ما جزأه أخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزأوه يعود على الأخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزأوه من وجد فى رحله فهو جزأوه) المعنى أن إخوة يوسف أفنوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزأه السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزأوه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهى شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزأوه ، والجملة خبر جزأوه الأول ، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف ، وتقديره جزأوه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام ، ثم قال فهو جزأوه أى هذا الحكم جزأوه (وكذلك نجزي الظالمين) من كلام لإخوة يوسف أى هذا حكمنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدي (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه ، وإنما أنث الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية ، ولأن الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عاداته ، لأنه إنما كان جزأه السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالعلم بدليل ما بعده (وفوق كل ذى علم عليم) أى

أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۖ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسْرَهَا
يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۖ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا
تُخَذُ أَحَدُنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ۖ إِنَّا إِذَا لَطَلُّونَ ۖ
فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ
فِي يُوسُفَ فَلَن أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيَ ابْنِي ۖ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۖ أَرْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ
فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۖ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)
الضمير في قالوا لإحوة يوسف ، وأشاروا إلى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنينا من ، فقد سرق
أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعزة عن أنفسهم ،
ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته
رَبِّه ، فأراد والده أن يأخذ منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها
فاستعبده بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت ، والثاني أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ
الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرهما يوسف في نفسه) قال الزمخشري الضمير للجملة التي بعد ذلك
وهي قوله أنتم شر مكانا ، والمعنى قال في قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التي وجد في
نفسه من قولهم فقد سرق أخ له ، من قبل وأسر كراهية مقالته ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أي لسوء
أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أباشيخا كبيرا) استعطافا
وكانوا قد أعلوه بشدة محبة أبيه فيه (نخذ أحدا مكانه) على وجه الضمان والاسترهان ، والانقياد ، وهذا
هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أي أحسن إلينا فيما فعلت
معنا من قبل أو على الإطلاق (واستيسسوا) أي يتسوا (خلصوا نجيا) أي انفردوا عن غيرهم يناجي بعضهم بعضا ،
والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم في السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم في الرأي
وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما فرطتم في يوسف) تحتل ما ، وجوها : الأول أن تكون زائدة ،
والثاني أن تكون مصدرية ومحالها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفریطكم في يوسف ، والثالث
أن تكون موصولة ومحالها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذي
وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى آبائكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق)
قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائي سرق بضم السين وكسرو تشديد الراء أي نسبت له السرقة
(وما شهدنا إلا بما علمنا) أي قوائنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب
حافظين) أي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع في رحله من غير علمه وقال
الزمخشري المني ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقة وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاسُقَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۚ قَالُوا يَا اللَّهُ تَفْتَوُا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ۚ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ۚ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُزْجَاةٍ فَآوُفْ لَنَا الْكَفِيلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ۚ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ

أى ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشري ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير : يعنون الرفقة ، وهذا قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجادات لأنه نبي والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هي مصر (قال بل سولت لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت الآية (بهم جميعا) يعنى يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذى قال لن أبرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال يأسق على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثانى والثالث ، الداهيين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ولأن مصيبتيه كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ، ف قيل إنه عمى ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين نكلى وأعطى أجر مائة شهيد ، وماساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فصيل بمعنى فاعل أى كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ، ولا يشكو إلا لله وقيل بمعنى مفعول كقول له : إذ نادى وهو مكظوم ، أى مملوء القلب بالحزن ، أو بالغيظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتو) أى لا تفتو ، والمعنى لا تزال ، وحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أى مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثي وحزنى إلى الله) رذ عليهم فى تفنيدهم له : أى إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبت : أشد الحزن (وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه (يابنى اذهبوا) يعنى إلى الأرض التى تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر ، وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقى هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تياسوا من روح الله) أى من رحمة الله (إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أو جهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أو ألهم على إخوانهم (بيضاة مزجاة) يعنون الدراهم التى جاؤا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضاً

يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ۚ قَالُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۚ إِنَّهُ مِنْ يَتَّى وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ ۚ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۚ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۚ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۚ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون ۚ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ۚ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۚ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ

فلذلك قالوا هذا (وتصدق علينا) قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم ، وقيل أوف لنا الكيل الذي هو حقنا وزدنا على حقنا ، وسموا الزيادة صدقة ، ويقضى هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تصدق علينا برد أخينا إلينا (إن الله يجزي المتصدقين) قال النقاش : هو من المعارض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر ، لأنهم لم يعرفوه ، فظنوا أنه على دين أهل مصر ، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقك كذبوا ، فقالوا لفظا يوم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) لما شكوا إليه رقبهم وعرفهم بنفسه ، وروى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله ما فعلتم بيوسف وأخيه : التفريق بينهما في الصغر ، ومضرتهم ليوسف وإذابتهم أخيه من بعده ، فإنهم كانوا يذلولونه ويشتمونهم (إذا أنتم جاهلون) اعتذار عنهم ، فيحتمل أن يريد الجاهل بفتح ما فعلوه أو جهل الشباب (قالوا أنتك لانت يوسف) قرئ بالاستفهام والخبر ، فالخبر على أنهم عرفوه ؛ والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه (من يتق ويصبر) قيل إنه أراد من يتق في ترك المعصية ، ويصبر على السجن ، واللفظ أعم من ذلك (آثرك الله علينا) أي فضلك (لخاطئين) أي عاصين ، وفي كلامهم استعطاف واعتراف (لا تثريب عليكم) عفو جميل ، والتثريب التعنيف والعقوبة ، وقوله اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه ، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار ؛ وقيل إنه يتعاقب يغفر ، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله ؛ وإنما يغفر دعاء ، فكانه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه (اذهبوا بقميصي) روى أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به ، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد (يأت بصيرا) الظاهر أنه علم ذلك بوحي من الله (فصلت العير) أي خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب (قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف) كان يعقوب ببית المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة (لولا أن تفندون) أي تلوموني أو تردون على قولي ، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف (في ضلالك القديم) أي ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديما (فلما أن جاء البشير) روى أن البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته : إني ذهبت إليه بقميص القرحة فدعوني أذهب إليه بقميص القرحة (قال سوف أستغفر لكم ربى) وعدمهم بالاستغفار لهم ، فقيل سوف فهم إلى السحر لأن

الْغُفُورِ الرَّحِيمِ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ * وَرَفَعَ
أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَسَّابَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ
بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ
لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ
وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْأَلُهُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّهُ يُوَفِّيكَ الْوَعْدَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمْ

الدعاء يستجاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهي فرحل
يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالآبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن
أمه كانت قد ماتت ، وسمى الخالة على هذا أمًا (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبويه على
العرش) أى على سرير الملك (وخرّوا له سجداً) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا بئس هذا تأويل
رؤياي من قبل) يعنى حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور
تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليه وبه (أخرجنى من السجن) إنما لم يقل أخرجنى
من الحب لوجهين : أحدهما أن فى ذكر الحب خزي لإخوته وتعريفهم بما فعلوه وترك ذكره توقيه لهم والآخر
أنه خرج من الحب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا
أصحاب إبل وغنم فعد من النعم بحيتهم للحاضرة (نزع الشيطان) أى أفسدوا غوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما
يشاء من الأمور (من الملك) من للتبعض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفى
مسلمًا) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا
بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله
(ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت
لديهم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تأكيداً لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذا جمعوا) أى
عزموا (وهم يَمْكُرُونَ) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد
أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسألهم عليه من أجر) أى
لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات
والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرون بالله
ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعمر (قل هذه

السَّاعَةِ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ه حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْشَسَ الرَّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ه لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ه

سورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ه الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ه اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سبيل) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أى أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى وحنة واضحة (أنا ومن اتبعنى) أنا تأكيد للضمير فى أدعو ، ومن اتبعنى معطوف عليه وعلى بصيرة فى موضع الحال وقيل أنا مبتداً وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله ، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أى من أهل المدن لا من أهل البوادي ، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفافهم (حتى إذا استأىس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، وبأسهم: يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير فى ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أى علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فبدسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضمير ان فيه للقوم المرسل إليهم أى ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (فى قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعنى القرآن (ولكن تصديق الذى بين يديه) تقدم معناه فى البقرة

سورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أى آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتاب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذى أنزل إليك) يعنى القرآن وإعرايه مبتداً وخبره الحق (بغير عمد) أى بغير شئ ه تفق عليه لإفطرة الله (ترونها) قيل الضمير للسماوات وترونها على هذا فى موضع الحال أو استئنافاً